الكشاف للزمخشري تـ(٥٣٨هـ) أهميته و أثره في التراث والتأليف النحوي

الكلمات المفتاحية: الكشاف، الأهمية، الأثر

بحث مستل من أطروحة دكتوراه

محمد طه محمود **أ. د. إبراهيم رحمن حميد**

المديرية العامة لتربية ديالى **جامعة ديالى/كلية التربية للعلوم الإنسانية**

M11iii.love1@gmail.com profibraheemaa@yahoo.com

تاريخ استلام البحث ٢٠٢١/٥/١٥ تاريخ قبول نشر البحث ٢٠٢١/٦/١

الملخص

يسعى البحث إلى دراسة أهمية الكشاف ومنزلته العلمية مع بيان أثره في التراث النحوي، فعند قراءة التراث نلحظ أن للكشاف أثرا كبيرا في حركة التأليف النحوي، فمن العلماء من ألف مؤلفا خاصا به جعل الكشاف محط عنايته واهتمامه ، ومن العلماء من تعرض للكشاف في مصنفه، وتجدر الإشارة إلى سعي البحث أيضا إلى الكشف عن مذهب الزمخشري. وقد اقتضت الدراسة إلى تقسيم البحث إلى مبحثين الأول منهما كان خاصا بأهمية الكشاف في التراث العربي النحوي ويضم أسباب الطعن والانتصار له، والثاني كان في أثر الكشاف في حركة التأليف النحوي، وختم البحث بخاتمة ضمت أهم النتائج التي توصل إليها.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آله وصبحه أجمعين.

أما بعد: فإنّ كتب التفسير من أهم مصادر العرب ذكراً، وأكثرها شهرة وقدراً؛ لما احتوت عليه من علوم مختلفة، فشملت علوم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، واللغة بمستوياتها الأربعة والبلاغة، وتختلف التفاسير فيما بينها من حيث المادة العلمية شرعة ومنهاجا ، فمنها ما آثر الجانب الديني والشرعي على الجوانب الأخرى، ومنها ما جاء مشتملا على كثير من فنون اللغة والنحو والبلاغة كما هو الحال في كشاف الزمخشري مع تغليب واضح للجانب العقلي على الجوانب الأخرى. ويعد تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون

الأقاويل في وجوه التأويل من أشهر الكتب في هذا الفن؛ لأنه بمثابة حلقة وصل بين النحويين المتقدمين والمتأخرين، وبين النحويين والبلاغيين؛ لذا نلمس حقيقة واضحة هي أهمية هذا التفسير وأثره في حركة التأليف النحوي. وقد اقتضت الدراسة إلى تقسيم البحث إلى مبحثين الأول منهما كان خاصا بأهمية الكشاف في التراث النحوي ويضم أسباب الطعن والانتصار له، والثاني كان في أثر الكشاف في حركة التأليف النحوي، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

المدخل

قبل الخوض في بيان أهمية وأثر الكشاف في حركة التأليف لابد أن نبيّن مذهب الزمخشري، فبالإضافة إلى مذهبه الاعتزالي الذي كان يعتقده ويدافع عنه فإن مذهبه النحوي قد أُختلف فيه إذ قيل: إن مذهبه بصري، وقيل: إنّه بغدادي، أي كان متابعا لمذهب سيبويه والبصريين في آرائه[١]، وذكر الدكتور شوقي ضيف أن مذهب الزمخشري بغدادي ولكنه يميل إلى المذهب البصري وتُرجم له مع من ترجم من نحاة المذهب البغدادي، وأضاف بأنه: ((إذا أخذنا نتعقب آراءه وجدناه يمثل الطراز البغدادي الذي رأيناه عند أبي علي الفارسي وابن جني، فهو في جمهور آرائه يتفق ونحاة البصرة الذين نهجوا علم النحو و وطأوا الطريق إلى شعبه الكثيرة، ومن حين إلى حين يأخذ بآراء الكوفيين أو بآراء أبي علي الفارسي أو ابن جني، وقد ينفرد بآراء خاصة به لم يسبقه أحد من النحاة إليها)) [٢].

وذكر مصطفى الصاوي أن الزمخشري كعالم نحوي فهو: ((حين يعرض للقرآن من الوجهة الإعرابية لا ينساق وراء صناعته النحوية كالنحويين فيحيف على جانب المعنى وإنما يجعل همّه المعنى حيثما كان هناك تقدير إعرابي فنراه يبيّن الأحكام النحوية وما وراءها من فروق معنوية، فهو يعالج النحو القرآني من الناحية التي تخدم تفسير القرآن وتنسق معانيه، وقد تمتد رعاية الزمخشري للنسق المعنوي في الآية الواحدة إلى رعايته للتناسب المعنوي في القرآن كله))[٣].

ورفض الدكتور فاضل السامرائي أن يكون الزمخشري منتميا للمذهب البغدادي بقوله: ((ولست أدري كيف يُعد أبو القاسم الزمخشري في نحاة بغداد وهو لم يسكن بغداد ولم يطرقها إلا زائرا ؟ فإن كان المكان يصح أن يوسم النحوي بسمته فهو ليس بغداديا، وإن كانت الأسس

التي يرجع إليها والمصطلحات والمسائل الخلافية فهو ليس بغداديا أيضا، كما أنه ليس هناك مدرسة بغدادية بهذا المعنى...))[٤] ؛ لذا فإن الزمخشري قد تشربت روحه المذهب البصري فقد كان يعبر عن البصريين بأصحابنا فضلا عن الآراء الاجتهادية الإبداعية في النحو التي كان يبتعد فيها عن التقليد إلا أن يقتنع بقول من سبقه[٥].

ويمكن القول بأن الزمخشري صاحب مدرسة ومذهب في النحو خاص به إن صحّ التعبير حيث يقوم مذهبه على الاختيار من البصريين ومن الكوفيين ويحاول أن يوافق بين الآراء ويأخذ ما هو مناسب له وما يقتضيه المعنى؛ لأنه كان يقلب الكلام على ما يحتمله من أوجه ويعقد صلة بين المعنى واللفظ من جهة، ثم العلاقة بين النحو والمعنى والبلاغة من جهة أخرى ويرجح الرأي الذي يسمو فيه المعنى وبلاغته[٦].

المبحث الأول

أهمية الكشاف في التراث النحوي

يضم هذا المبحث ثلاث محطات هي:

ـ أهمية الكشاف:

إنّ للكشاف أهمية كبيرة، وقيمة علمية؛ إذ إنه من الكتب المهمة والضخمة ويُعد من أهم الآثار التي خلفها الزمخشري وأهم التفاسير المنسوبة إلى المعتزلة والذي كان يبث فيه أفكاره الاعتزالية، فكان كنزا من كنوز المعرفة عندهم يضم في طياته علوم العربية المختلفة من(تفسير ولغة ونحو وحديث...) حيث استطاع الزمخشري ـ رحمه الله ـ أن يُخرج للناس كتابا في تفسير كلام الله تعالى كان شاهدا على تبحر صاحبه في علوم التفسير والنحو واللغة وغيرها، وكان هذا المؤلف يمثل فكر صاحبه الناضج والثقافة العالية[٧].

فضلا عن قيمته العلمية فإنه يُعد مصنفا لم يصنف قبله مثله ولما أبان فيه من وجوه الإعجاز في غير ما آية من القرآن الكريم ولما أظهر فيه من جمال النظم القرآني وبلاغته، وتأتي أهمية هذا الكتاب من أهمية المؤلف الذي كان ملما بلغة العرب والمعرفة بأشعارهم فضلا عن امتيازه بالإحاطة بعلوم البلاغة والبيان والإعراب والأدب وهذا قد أضفى على التفسير ثوبًا جميلا لفت إليه أنظار العلماء وعلق به قلوب المفسرين[٨]. وكان الكشاف يمثل

مرحلة تاريخية موصوفة بأصالة التفكير النحوي كما ينماز رجالها بأصالة المنهج اللغوي في التفسير، فضلا عن أن أغلبهم أئمة النحو الذين كانت أقوالهم واجتهاداتهم في الدراسات النحوية هي معين رجال التفسير في المراحل اللاحقة[٩].

فالكلام على تفسير الكشاف واسع مداه متعددة جوانبه؛ لذا فهو من أشهر كتب التفسير بالرأي حيث ألفه الزمخشري لجماعته المعتزلة غير أن الكتاب صار له شأن حتى بات أهل الفرق الأخرى يعدونه مرجعا لهم لاسيما في شقه الذي هو أساليب العربية وبلاغة القرآن الكريم.

فلم يُقدم الزمخشري على تأليف هذا التفسير إلا بعد أن اكتملت علومه ونضجت مواهبه وتهيأت له أسباب هناء البال ونعومة الحال وهو بجوار مكة المكرمة، في حينها طابت نفسه وتحركت قريحته فألف الكشاف في سنتين وأربعة أشهر حتى أنه أعجب أيما إعجاب بتفسيره فقال فيه:

إن التفاسير في الدنيا بلا عدد وليس فيها لعمري مثل كشافي

إن كنت تبغي الهدى فالزم قراءته فالجهل داء والكشاف كشافي[١٠]

ـ أسباب الطعن في الكشاف:

من الأمور المسلم بها والمعروفة لدى طلاب العلم أن التفسير إما نقلي أو صنف يعتمد على معرفة اللغة والاعراب والبلاغة وغيرها في تأدية المعنى بحسب المقاصد والأساليب وهذا التفسير يسمى التفسير بالرأي حيث يعمد المفسر إلى توظيف الرأي ويعتمد على الاجتهاد في تفسير القرآن[١١].

ولعل من أهم أسباب الطعن والنقد لتفسير الكشاف، كون صاحبه من أهل الاعتزال في العقائد، وقد صرح بمذهبه هذا ودافع عنه وكان مفتخرا به وذكر سبب التأليف هو تلبية رغبة أنصار مذهبه[١٢] . وذكر ابن كثير ـ رحمه الله ـ أن الزمخشري كان يظهر الاعتزال ويصرح به في تفسيره ويناظر عليه، وكان إذا قصد صاحبا له وأستأذن عليه في الدخول يقول لمن يأخذ له الأذن: قل له: أبو القاسم المعتزلي بالباب[١٣].

وذكروا أن الكشاف كتاب عظيم في بابه ومصنفه إمام في فنه إلا أنه كان يحتج بأحاديث ضعيفة تخص فضائل السور وكان يجعل القراءة أصلا في التفسير[١٤]، وقد جُمع

فيه بين اختراع المعنى وبراعة اللفظ فكان فيه أشياء مُنتقدة فنظّم أبو حيان في الكشاف قصيدة ذكر فيها محاسنه ثم بعد ذلك نبه على ما فيه مما يجب تجنبه ويرى أن من يقرأ الكشاف عليه أن يتنبه لما فيه من القبائح فقال[١٥]:

ولكنه فيه مجال لناقد وزلات سوء قد أخذْن المخانقا

ويستمر في القصيدة حتى يصل إلى.

ويسهب في المعنى الوجيز دلالة بتكثير ألفاظ تسمى الشقاشقا[١٦]

وأما العسقلاني فقد مدحه وذمه في الوقت نفسه فذكر أن الزمخشري مفسر نحوي صالح لكنه داعية إلى الاعتزال أجارنا الله فكن حذرا من كشافه[١٧].

وكان مذهبه الاعتزالي الذي صرح به في كشافه يحتم عليه أن يقدس العقل ويحكمه وكانوا يدعون إلى نبذ التقليد ومجانبته، وإعمال الرأي والفكر لما لهما أثر كبير في كشف حقائق القرآن ((من لطائف معان يدق فيها مباحث للفكر، ومن غوامض أسرار، محتجبة وراء أستار، لا يكشف عنها من الخاصة إلا أوحدهم وأخصهم...))[١٨] ، وأن الاحتكام إلى العقل أسلم للإنسان حيث يقول:((امش في دينك تحت راية السلطان ولا تقنع بالرواية عن فلان وفلان...))[١٩].

وكان الزمخشري في كشافه كثيرا ما يوظف العقل لمعرفة وفهم النص القرآني ولا يقنع بالمعنى الظاهري للنص حيث ذكر أن التفكر والتدبر والتأمل في النصوص يقود إلى المعرفة والفهم وإظهار التأويلات الصحيحة الحسنة[٢٠].

فالناقدون من أهل المغرب مجمعون على أن لتفسير الكشاف مزية على سائر التفاسير وإن أخذوا عليه أنه يؤيد عقائد أهل البدع ويحرّف معنى الآية ويورد الأحاديث الضعيفة نصرة لمذهبه وتعصبا، أما اهل المشرق فقد اتخذوا من الكشاف موضوعا لدراستهم؛ لأن أغلب كتب المعتزلة وتفاسيرهم قد ضاعت ثم إن الزمخشري كان آخر مفسري المعتزلة الأعلام[٢١].

ـ الانتصار لكشاف الزمخشري:

ذكرنا سابقا أن الزمخشري قد ألمّ بعلمي المعاني والبيان وعلى المفسر لكتاب الله تعالى قبل كل شيء أن يلمّ بهذين العِلمين، وقد ذكر ذلك في مقدمة الكشاف أن الفقيه والواعظ والنحوي واللغوي وغيرهم لا يتصدى أحد منهم لسلوك تلك الطرائق وعلومهم ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق والأدلة إلا من كان منهم قد برع في علمين مختصين بالقرآن وهما علم

المعاني وعلم البيان[٢٢]. والحقيقة أن الزمخشري كان مصيبا بهذا التوصيف الدقيق الذي ذكره فيما يخص هذه الألقاب العلمية من ـ واعظ وفقيه ونحوي ولغوي ـ فكل منهم يحتاج إلى علمي البيان والمعاني حتى يستطيع أن يفهم ما يروم إليه النص القرآني من معنى، ومن خلاله استخلاص الأحكام والأدلة التي ينافح بها عن مذهبه ومعتقده.

وقد اعترف كثير من العلماء بما قدمه الزمخشري من الحديث عن بلاغة القرآن وسلموا بأنه سلطان هذه الطريقة والإمام السالك في هذا المجاز إلى الحقيقة، فالكشاف أول تفسير يصل إلينا هدفه الكشف عن بلاغة القرآن لذا طار كتابه في أقصى الشرق والغرب ودار عليه النظر؛ إذ لم يكن لكتابه نظير في هذا الضرب. وانتفع الناس به وفتح لهم بابا من العلم تقدموا به هو علم البيان فأحوج ما يكون إليه ـ علم البيان ـ هم المفسرون حيث خلت تفاسير المتقدمين منه حتى ظهر الزمخشري ووضع تفسيره وتتبع آي القرآن الكريم بأحكام هذا الفن بما يبدي البعض من إعجازه فانفرد بهذا الفضل على جميع التفاسير[٢٣]؛ لذا كان للعلماء وقفات متعددة مع الكشاف إعجابا بما حواه من مادة علمية فوصفوا محاسنه وجوانب نبوغ صاحبه فيه وكان من جملة العلماء الطيبي في حاشيته إذ ذكر أن الكشاف: ((مصنف لا يخفى مقداره، ولا يشق غباره. اتضح بيانه، وأضاء برهانه، وعمت أضواؤه، وانجلت سماؤه، تغرق الأفكار في بحار عباراته، ولا تنتهي الأوهام إلى ساحل إشاراته، هزت أريحية الفضل من أعطاف الفضلاء...)) [٢٤].

وعلى هذا فكتاب الكشاف واحدٌ في بابه وعلمٌ شامخ في نظر علماء التفسير وطلابه ولقد اعترف له خصومُه بالبراعة وحسن الصناعة وقال الحافظ أبو القاسم بن بشكُوالٍ: ((وكتاب الزَّمخشريِّ أَلخص وأَغوص، إِلَّا أن الزمخشري قائل بالطفرة، ومُقتصر من الذُّؤَابة على الوفرة، فربَّما سنح له آبي المَقَادة...))[٢٥]، وقال الشيخ حيدر الهروي: ((فإن كتاب الكشاف، كتاب علي القدر رفيع الشأن، ولم ير مثله في تصانيف الأولين، ولم يرو شبيهه في تأليف الآخرين...))[٢٦].

ويمكن القول بأن الكشاف:((قد بلغ في نجاحه مبلغاً عظيماً، ليس فقط لأنه لا يمكن الاستغناء عنه في بيان الأقوال الكثيرة لقدماء المعتزلة، بل لأنه استطاع أيضاً أن يكون معتَرفاً به من الأصدقاء والخصوم على السواء ككتاب أساسي للتفسير، وأن يأخذ طابعاً شعبياً يغرى الكل ويتسع للجميع، وكما اعتبرنا تفسير الطبري ممثلاً للقمة العالية في التفسير بالمأثور

فأطنبنا في وصفه وأطلنا الكلام عليه، فهنا كذلك سنعتبر الكشاف للزمخشري القمة العالية للتفسير الاعتزالي؛ لأنه الكتاب الوحيد من تفاسير المعتزلة الذى وصل إلينا متناولاً للقرآن كله، وشاملاً للأفكار الاعتزالية التي تتصل بالقرآن الكريم باعتباره أصل العقيدة ومعتمد ما يتشعب عنها من آراء وأفكار؛ ولهذا أراني مضطراً إلى الإطناب والإفاضة في كلامي عن هذا التفسير، ودراستي له من جميع نواحيه بمقدار ما يفتح الله)) (٢٧).

ومن الباحثين من يرى خلو الكشاف من الحشو والتطويل ، و سلامته من القصص والإسرائيليات ، و اعتماده في بيان المعاني على لغة العرب وأساليبهم ، وعنايته بعلمي المعاني والبيان والنكات البلاغية تحقيقا لوجوه الإعجاز ، ومنها سلوكه فيما يقصد إيضاحه طريق السؤال والجواب كثيرا، فقد أجرى التفسير على طريقة حوارية تفصيلية وأراد له أن يكون منهجا ينهجه من يريد التفسير ورسما يتبعه من أُوتي الأداة والجهد والوقت فتفسيره قد طُبع بالنزعة التعليمية التي تقوم على التعليل والمناقشة(٢٨).

المبحث الثاني

أثر الكشاف في حركة التأليف النحوي

عند قراءة التراث العربي يتبين لنا مدى قوة أثر الكشاف في حركة التأليف النحوي؛ إذ نلحظ أنه قد أحدث ضجة كبيرة في التأليف بمستوياتها المختلفة؛ لذا قسم المبحث إلى ثلاثة أقسام شملت مستويات التأليف:

أولا: من ألف في الكشاف مؤلفا خاصا به:.

إن الكشاف من التفاسير التي أحدثت ضجة كبيرة في مجالس العلم والعلماء؛ ولهذا نجد أن العلماء أقاموا دراسات مختلفة عليه واعتنى الأئمة المحققون بالكتابة عليه ((فمن مميز لاعتزال، حاد فيه عن صوب الصواب، ومن مناقش له: فيما أتى به من وجوه الإعراب، ومن محش: وضح، ونقح، واستشكل، وأجاب، ومن مخرج لأحاديثه: عَزَا، وأسند، وصحح، وانتقد، ومن مختصر: لخص، وأوجز))(٢٩).

ومن أهم الحواشي التي اختصت بدراسة الكشاف:

- حاشية العلامة، قطب الدين: محمود بن مسعود الشيرازي ت(٧١٠هـ)
- حاشية أبي العباس أحمد بن عثمان الأزدي الشهير بابن البناء ت(٧٢١هـ).

ـ حاشية العلامة شرف الدين الحسن بن محمد الطيبي تـ(٧٤٣هـ) وهي أجل حواشيه.
قال: رأيت النبي – صلى الله تعالى عليه وسلم – قبيل الشروع، أنه ناولني قدحا من اللبن، وأشار إلي، فأصبت منه، ثم ناولته – عليه الصلاة والسلام – فأصاب منه.
و سماها: (فتوح الغيب، في الكشف عن قناع الريب) .
ـ حاشية العلامة عمر بن عبد الرحمن الفارسي القزويني(٧٤٥هـ) سماها(الكشف عن مشكلات الكشاف).

ـ حاشية العلامة فخر الدين أحمد بن حسن الجاربردي (٧٤٦هـ).

ـ حاشية عماد الدين يحيى بن قاسم العلوي المعروف بالفاضل اليمني تـ(٦٥٠هـ) وسماها(درر الأصداف في حل عقد الكشاف).

والف اليمني حاشية أخرى سماها(تحفة الأشراف في كشف غوامض الكشاف) جمع بين حاشية الطيبي و درر الاصداف.

ـ حاشية العلامة قطب الدين محمد بن محمد التحتاني، الرازي تـ(٧٦٦هـ). وعليه محاكمات واعتراضات.
ـ حاشية العلامة أكمل الدين محمد بن محمد البابرتي تـ(٧٨٦هـ) ، وهي ملخصة من حاشية الطيبي مع زيادة تعقيد في العبارة .
ـ حاشية يوسف بن حسن التبريزي تـ(٨٠٤هـ).
ـ حاشية شيخ الاسلام سراج الدين عمر بن رسلان البلقيني تـ(٨٠٥هـ)، سماها(الكشاف على الكشاف) .
ـ حاشية العلامة السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني تـ(٨١٦هـ) .
ـ حاشية الشيخ ولي الدين أبي زرعة أحمد بن الحافظ الكبير عبد الرحيم العراقي تـ(٨٢٠هـ).
ـ حاشية الفاضل يوسف بن الحسين الحلواني تـ(٨٥٤هـ).
ـ حاشية الشيخ علاء الدين علي بن محمد تـ(٨٧١هـ).
ـ حاشية على أوائل الكشاف لشيخ الإسلام سيف الدين أحمد بن محمد الهروي المعروف بحفيد التفتازاني تـ(٩٠٦هـ).
ـ حاشية شمس الدين أحمد بن سليمان المعروف بابن كمال باشا تـ(٩٤٠هـ).

ـ حاشية خير الدين خضر بن عمر العطوفي تـ(٩٤٨هـ).

ـ حاشية المولى مهدي الشيرازي تـ(٩٥٦هـ).

ـ حاشية أبي السعود بن محمد العمادي تـ(٩٨٢هـ) المسماة بـ(معاقد الطراف في أول سورة الفتح من الكشاف).

ـ حاشية على أوائل الكشاف للمولى صنع الله بن جعفر المفتي تـ(١٠٢١هـ)[٣٠].

وهناك كتب أخرى أقيمت على هذه الحواشي منها[٣١]:

ـ حاشية المولى علاء الدين علي بن محمد المعروف بقوشجي تـ(٨٧٩هـ) على حاشية سعد الدين التفتازاني.

ـ حاشية المولى حسن جلبي بن محمد شاه الفناري تـ(٨٨٦هـ)، على حاشية السيد الشريف الجرجاني.

ـ وهناك مؤلفات أخرى على الكشاف خاصة بشرحه منها:

شرح سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني حيث أنه لا نظير له ، لاشتماله على التحقيق، والتدقيق، ولطائف التوفيق، والتلفيق، لكنه فوت الفرصة، واشتغل به في آخر عمره[٣٢] .

ـ وهناك أيضا ملخصات على تفسير الكشاف منها[٣٣]:

ـ اختصار الشيخ ابن علي الأنصاري تـ(٦٦٢هـ) أزال عنه الاعتزال.

ـ اختصار المولى عبد الأول بن حسين الشهير بأم ولد تـ(٩٥٠هـ).

ومن المؤلفات الأخرى الخاصة بالدفاع عن الكشاف(انموذج الكشاف) للعلامة شمس الدين محمد بن يوسف الكرماني تـ(٧٨٦هـ).

أما الكتب الخاصة بالشواهد وتخريجها فمنها؛ في تخريج الأحاديث الواردة في الكشاف كتاب بعنوان(الكاف الشاف في تحرير أحاديث الكشاف) للحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر تـ(٧٥٢هـ)[٣٤].

وأما الشواهد الشعرية فذكر صاحب هدية العارفين وحاجي خليفة أن بعض الأفاضل ذكروا أنها زهاء ألف بيت، أكثرها: منثور المقاطع، خافية معانيها، على أكثر الأدباء، حتى الفحول[٣٥].

أما الشواهد الحديثية والشعرية لخضر بن محمد الموصلي ـ نزيل مكة المكرمة ـ فقد كانت في مجلدات[٣٦].

والملاحظ من خلال هذه المؤلفات الكثيرة التي أُلفت على الكشاف بشكل خاص واحتلاله رتبة الصدارة في درجة تأثيره في من جاء بعده من المفسرين وغيرهم ولعل السبب في ذلك هو سبقه في تطبيق الدراسات البيانية في تفسير كتاب الله وقد أشار ابن خلدون إلى ذلك بقوله: ((...والعناية به ـ أي علم البيان ـ لهذا العهد عند أهل المشرق في الشرح والتعليم منه أكثر من غيره ...))[٣٧].

وقد ألفت كتب في نقد الكشاف أهمها:

ـ **الانتصاف من الكشاف** الإمام ناصر الدين أحمد بن محمد ابن المنير الاسكندري المالكي ت(٦٨٣هـ) ، بين فيه ما تضمنه من الاعتزال ، وناقشه في أعاريب وأجاد فيها .

ـ **الإنصاف في مسائل الخلاف بين ابن المنير والزمخشري** الإمام علم الدين بن عبد الكريم العراقي ت(٧٠٤هـ) جعله حكما بين الكشاف والانتصاف؛ وذلك أنه لما رأى بأن انتقادات ابن المنير لا تخلو من تحامل في بعض الأحيان ، حاول أن يدفع عن الزمخشري ويبين مواطن الزلل في قصد واعتدال[٣٨].

ـ ولخصهما جمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام في مختصر لطيف مع زيادة يسيرة ت(٧٦٢هـ) قال المصنف : ((اختصرت فيه الانتصاف من الكشاف ، وحذفت منه ما وقعت الإطالة به من نقل كلام الزمخشري على وجهه من غير كلام عليه إعجابا به، واستحسانا له، وما قابل به الزمخشري في سبه أهل السنة بمثلها مقتصرا على العقيدة الصحيحة، وما يتعلق بالآية منها من دليل وحمل على تأويل، فلم أدع شيئا من معاني الكتاب المذكور، فما وافق منه الصواب أبقيته بحاله، وما خالف ذلك بينت وجه ضعفه ، وإخلاله))[٣٩] .

ـ **التمييز لما أودعه الزمخشري من الاعتزال في تفسير الكتاب العزيز** أبو علي عمر بن محمد بن خليل السكوني ت(٧١٧هـ) وقد تكلم فيه في الإمام فخر الدين الرازي وغيره بما لا يعاب به عالم[٤٠].

ثانيا: من تعرض إليه في مصنفاته:

إنّ الذين تعرضوا لذكر الكشاف وآرائه في كتبهم هم أنفسهم النحاة والمفسرون وعند الاطلاع على كتبهم لم نجد منهجية ثابتة في ذكر الكشاف، فمنهم من ذكر الآراء في موضوعات متفرقة فأكثر من ذكره وهذا ما نجده عند ابن هشام في المغني، وأبي حيان في التذييل والتكميل وارتشاف الضرب، وكذلك ابن مالك فله اعتراضات كثيرة جمعها الدكتور

عادل فتحي رياض في كتاب اسماه(اعتراضات ابن مالك على الزمخشري) وكان يضم مجموعة من الاعتراضات على آراء الزمخشري في الكشاف، و كتاب تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد للدماميني وشرحه على مغني اللبيب.

أما المفسرون فقد أكثر أبو حيان في تفسيره البحر المحيط من ذكر الكشاف بين الموافقة والاعتراض، وتبعه في ذلك السمين الحلبي في تفسيره(الدر المصون في علوم الكتاب المكنون) والرازي في (مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير) والنيسابوري في تفسيره(غرائب القرآن ورغائب الفرقان) وابن جزي في(التسهيل لعلوم التنزيل) والبيضاوي في تفسيره (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، وابن عادل الحنبلي في تفسيره(اللباب في علوم الكتاب)، والسيرافي الفالي في(التقريب في التفسير) والإمام أحمد الكوراني في تفسيره(غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني).

وسنتعرض في أثناء دراستنا لآراء هؤلاء العلماء سواء من أفرد له كتابا أو دراسة أو من ذكر الكشاف في أثناء دراسته.

الخاتمة:

١. بيّنت الدراسة أن السبب في تعقب العلماء للزمخشري في كشافه هو مذهبه الاعتزالي وانتصاره له عن طريق الصناعة النحوية، فقد كان الزمخشري لا يتردد في مخالفة إجماع النحاة لا سيما إذا كان يبيّن سرا بلاغيا أو نكتة بيانية تخص النظم القرآني.
٢. أكد البحث ارتباط الزمخشري بمذهبه البصري وكان هذا واضحا جليا فكانت أغلب تخريجاته النحوية موافقة لمذهبه النحوي ومن ذلك جواز تقديم الخبر على المبتدأ. فضلا عن أن الزمخشري كان يجنح في بعض الأحيان إلى المذهب الكوفي لتوافق رأيهم مع المعنى الذي يروم إليه ويقصده ومن أمثلة ذلك إذ جوّز الزمخشري أن يقع الفاعل جملة وكذلك نائب الفاعل وكذلك تابع الكوفيين في جعله الفعل(قعد) بمعنى(صار).
٣. بيّن البحث أن الزمخشري لم يكن بغداديا كما ذهب بعض الباحثين بل هو بصري لاعتماده على أقوالهم وأسسهم في البحث وكان يعد نفسه واحدا منهم، ولكن هذا لا يعني التزامه لجميع أقوالهم بل يخالفهم كسائر النحاة ويميل إلى المذهب الكوفي أو غيرهم أو يجتهد رأيه.

٤. أكد الدرس أن الزمخشري في كشافه كان معتمدا على الأسلوب التعليمي في عرض المادة العلمية التفسيرية وهي أقرب إلى إعمال العقل وإبعاده عن الجمود والتفكير بالمسألة بإثارة سؤال ما، فقد اتبع منهج المناقشة والحوار فكان يكثر من، فإن قلت كذا، وكأنه يخاطب المستمع والقارئ ثم يتبعه بقوله: قلت كذا، جوابا عن السؤال المتقدم لبيان الرأي والحكم، فضلا عن أن العقل عند الزمخشري بشكل خاص والمعتزلة بشكل عام مقدم على السُّنَّة والإجماع والقياس. وتجدر الإشارة إلى أن المعنى مقدم عند الزمخشري وقد أولاه العناية والاهتمام أكثر من القواعد النحوية فأحيانا يخرجه كثرة الاهتمام بالمعنى على الأصول والقواعد بابتداعه آراء جديدة على النحو والنحاة حتى أنه لم يفصل بين النحو والبلاغة فانصبّ اهتمامه على اللفظ والمعنى معا.

٥. أكد البحث مدى أهمية وتأثر العلماء والمفسرين والنحاة بالزمخشري من خلال آرائه المبثوثة في كتابه الكشاف بين مؤيد لهذه الآراء النحوية والمذهبية وبين متعقب له أمثال أبي حيان وابن مالك وابن هشام وابن منير الاسكندري. ومما يدل على رفعة كتاب الكشاف بين كتب التفسير بشكل خاص، وكتب النحو بشكل عام، إنَّ النحويين المتأخرين قد أفادوا منه كثيراً، وجعلوا كتابه وآراءه مصدرا من المصادر التي اعتمدوا عليها في نقل الآراء النحوية، ولا سيما البصرية منها لأنَّ كشافه كان يمثل حلقة وصلٍ بينهم، وبين المتقدمين، وظل هذا التفسير إلى يومنا هذا مرجعا ينهل منه الطلبة والباحثون بدلالة أنَّهم كتبوا عنه عدداً لا بأس به من البحوث والرسائل والأطاريح لما احتواه هذا الكتاب من آراء في اللغة، والنحو، والبلاغة، والتفسير، وغيرها.

Al-Kashaf by Al-Zamakhshari (538 AH), its importance and impact on heritage and grammatical composition

Keywords: Scout, importance, impact
Research extracted from a PhD thesis

Muhammad Taha Mahmoud a. Dr.. Ibrahim Rahman Hamid
General Directorate of Diyala Education Diyala University / College of Education for Human Sciences

Abstract

The research seeks to study the importance of the scout and its scientific status, with an indication of its impact on the grammatical heritage. When reading the heritage, we notice that the scout has a great impact on the movement of grammatical composition. Some of the scholars who wrote a book of their own made the scout a focus of his attention and attention, and among the scholars are those who exposed the scout in his workbook. Referring to the research's quest

also to reveal the doctrine of Zamakhshari. The study necessitated dividing the research into two sections, the first of which was specific to the importance of the searchlight in the Arab grammatical heritage and includes the reasons for the challenge and victory for it, and the second was about the impact of the searchlight on the grammatical composition movement, and the research was concluded with a conclusion that included the most important results it reached.

الهوامش

(١) ينظر : الزمخشري لغويا ومفسرا: ٢٦٨.

(٢) المدارس النحوية: ٢٨٤، وينظر: دروس في المذاهب النحوية: ١٦١.

(٣) منهج الزمخشري في تفسير القرآن: ١٦٧ و١٦٨.

(٤) الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري: ٣١٩.

(٥) ينظر : المدارس النحوية: ٢٨٤، و الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري: ٣٠٠.

(٦) ينظر: أثر الاعتزال في توجيهات الزمخشري اللغوية والنحوية في الكشاف(ماجستير):٧.

(٧) ينظر : أثر معاني القرآن للأخفش الأوسط في الكشاف للزمخشري دراسة نحوية (ماجستير):٢٦، و اثر معاني القرآن للفراء ومعاني القرآن واعرابه للزجاج دراسة نحوية(دكتوراه):٣٠ و ٣١ .

(٨) ينظر : التفسير والمفسرون:٣٠٦ و٣٠٧، و وفيات الاعيان:١٦٨/٥، والحاشية على الكشاف للجرجاني:١٧.

(٩) ينظر: موازنة بين تفسير الكشاف للزمخشري والبحر المحيط لأبي حيان(دكتوره): المقدمة .

(١٠) ينظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ١٤٧٥/٢، تفسير الكشاف بين التحليل والتأويل(بحث): ٨٢ و٨٣ .

(١١) ينظر : مقدمة ابن خلدون: ٥٣٠، ومنهج الزمخشري في تفسير القرآن: ٢٦٥.

(١٢) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:١٥/١ ـ١٩، وطبقات المفسرين:٤١،و التفسير والمفسرون:٣٠٦، والزمخشري لغويا ومفسرا :١٤٧، أثر الاعتزال في توجيهات الزمخشري: ٣.

(١٣) ينظر: البداية والنهاية: ١٢/ ٢١٩، و شذرات الذهب في أخبار من ذهب:٣/ ١١٩، و وفيات الأعيان: ٦٨/٥ . ٧٤.

(١٤) ينظر: معيد النعم ومبيد النقم : ١١٤ و١١٥، ومنهج الزمخشري في تفسير القرآن:٢٦٧.

(١٥) ينظر : البحر المحيط: ٢٥٣/٨، و اثر الاعتزال في توجيهات الزمخشري:٢.

(١٦) الشقاشق: هو شيءٌ كالرِّئة يخرجُها البعِيرُ من فيه إِذَا هاج، والجمع الشَّقاشِقُ، ومنه سُمّي الخطباء شَقاشِق، شبَّهوا المكثار بالبعير الكَثير الهَدر، والعَربُ تقولُ للخَطيب الجهر الصَّوت الماهر بالكلام: هو أهرت الشقشقة، ينظر: لسان العرب: ١٨٥/١٠ .

[١٧] ينظر: كشف الظنون: ١٤٧٥/٢ ، وأثر الاعتزال في توجيهات الزمخشري:٤ .

[١٨] الكشاف : المقدمة ٢.

[١٩] أطواق الذهب في المواعظ والخطب:٤٧ . وأثر الاعتزال في توجيهات الزمخشري: ٣ .

[٢٠] ينظر الكشاف :٩٠/٤، و موازنة بين تفسير الكشاف للزمخشري والبحر المحيط لأبي حيان: المقدمة، وأثر الاعتزال في توجيهات الزمخشري:٣ .

[٢١] ينظر: منهج الزمخشري في تفسير القرآن: ٢٧١ .

[٢٢] ينظر مقدمة الكشاف :٢ ، و التفسير والمفسرون: ٣٠٧ .

[٢٣] ينظر: مقدمة ابن خلدون:٧٠٩، ومنهج الزمخشري في تفسير القرآن:٢٦٥، وتفسير الكشاف بين الحليل والتأويل:٨٦ و٨٧، وموازنة بين تفسير الكشاف للزمخشري والبحر المحيط لابي حيان: المقدمة.

[٢٤] فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف): ١/ ٦١٠ و ٦١١ .

[٢٥] البحر المحيط :١٠/١، وينظر: التفسير والمفسرون:٣٠٨/١ .

[٢٦] كشف الظنون ١٤٧٥/٢، وينظر : التفسير والمفسرون:٣٠٨/١و٣٠٩.

[٢٧] التفسير والمفسرون: ٣١٢/١، وأثر الاعتزال في توجيهات الزمخشري: ٧ .

[٢٨] ينظر: مناهل العرفان: ٧٨/٢، و التفسير والمفسرون:٤٥٢/١، و تفسير الكشاف بين التحليل والتأويل: ١٠٣، وموازنة بين تفسير الكشاف للزمخشري والبحر المحيط لابي حيان: المقدمة، وأثر الاعتزال في توجيهات الزمخشري: ١٦.

[٢٩] كشف الظنون ١٤٧٥/٢ .

[٣٠] ينظر: كشف الظنون: ١٤٧٥/٢، و الحاشية على الكشاف: ١٧- ٢٢، والدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري:٩٥و٩٦، وهدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: ١٣٥/٢ - ١٥٣ ، ومنهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان اعجازه:٢٧١.

[٣١] ينظر: هدية العرفين:١٦٦/٢و ١٧١ ، والحاشية على الكشاف: ٢٠.

[٣٢] ينظر : كشف الظنون: ١٤٧٥/٢ ، والحاشية على الكشاف:١٨ .

[٣٣] ينظر: كشف الظنون: ١٤٧٥/٢، والحاشية على الكشاف: ١٧ .

[٣٤] ينظر : كشف الظنون :١٤٧٥/٢، وهدية العارفين: ٣٦٨.

[٣٥] ينظر: كشف الظنون:١٤٧٥/٢، وهدية العارفين: ١٧٨/٢، و الحاشية على الكشاف: ٢٢.

[٣٦] ينظر: كشف الظنون:١٤٧٥/٢، وهدية العارفين: ١٧٨/٢، و الحاشية على الكشاف: ٢٢.

[٣٧] مقدمة ابن خلدون: ٧٠٨، وينظر : موازنة بين تفسير الكشاف للزمخشري والبحر المحيط لابي حيان: المقدمة.

[٣٨] ينظر: الدرر الكامنة :١٣/٣ ، و طبقات الشافعية: ٦/ ١٢٦، وموازنة بين تفسير الكشاف للزمخشري والبحر المحيط لأبي حيان: المقدمة.

(٣٩) كشف الظنون: ١٤٧٥/٢ ، و موازنة بين تفسير الكشاف للزمخشري والبحر المحيط لأبي حيان: المقدمة .

(٤٠) ينظر : هدية العارفين:٢/ ٤٣٠، والحاشية على الكشاف: ٢١.

المصادر والمراجع:

- أطواق الذهب في المواعظ والخطب: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله ، تحقيق: الناشر: مطبعة نخبة الأخبار، (د ط) ، ١٣٠٤هـ.
- البحر المحيط في التفسير: أبو حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، (د. ط)، ١٤٢٠ هـ .
- البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي تـ(٧٧٤هـ)، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ ،١٩٨٨ م.
- التفسير والمفسرون: الدكتور محمد السيد حسين الذهبي تـ(١٣٩٨هـ)، مكتبة وهبة، القاهرة ، ٢٠٠٠م، ط٧.
- الحاشية على الكشاف: أبي الحسن السيد الشريف الجرجاني، تحقيق: الدكتور رشيد بن عمر أعرضي، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط١، ٢٠١٦م.
- الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري: الدكتور فاضل صالح السامرائي، دار النذير، مطبعة الارشاد بغداد، (د ط)، ١٣٩٠هـ، ١٩٧١م.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني تـ(٨٥٢هـ)، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، صيدر اباد، الهند، ط٣، ١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م.
- دروس في المذاهب النحوية: الدكتور عبده الراجحي، دار النهضة العربية للتوزيع والنشر، لبنان، بيروت، (د ط)، ١٩٨٠م.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكبري الحنبلي، أبو الفلاح تـ(١٠٨٩هـ)، تحقيق: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط١ ، ١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٦ م.

- طبقات الشافعية الكبرى: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي تـ(٧٧١هـ)، تحقيق: الدكتور محمود محمد الطناحي، و الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٣هـ.
- طبقات المفسرين العشرين: جلال الدين السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة ، القاهرة، ط١، ١٣٩٦م
- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب(حاشية الطيبي على الكشاف): شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (المتوفى: ٧٤٣ هـ)، مقدمة التحقيق: إياد محمد الغوج، القسم الدراسي: الدكتور جميل بني عطا، المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب: الدكتور محمد عبد الرحيم سلطان العلماء، الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط١، ١٤٣٤ هـ ، ٢٠١٣ م.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة تـ(١٠٦٧هـ)، مكتبة المثنى ، بغداد ، (د ط)، ١٩٤١م .
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (٥٣٨هـ)، رتبه وضبطه وصححه: محمد عبدالسلام شاهين، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط٦، ١٤٠٧ هـ ،٢٠١٥م.
- لسان العرب، جمال الدين ابن منظور الأنصاري تـ(٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط(٣)، ١٤١٤هـ.
- المدارس النحوية: الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ط١، ١٩٦٨م.
- المدارس النحوية: الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ط٢، ١٩٨٢م.
- معيد النعم ومبيد النقم: تاج الدين السبكي تـ(٧٧١هـ)، نشره: داؤود ولهلم موهر، مطبعة بريل، مدينة ليدن، ١٩٠٨م.
- مقدمة ابن خلدون: عبدالرحمن بن خلدون تـ(٨٠٨هـ)، تحقيق: حامد أحمد الطاهر، دار الفجر للتراث ـ القاهرة، ط٢، ٢٠١٣م .
- مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني تـ(١٣٦٧هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط٣، ١٩٩٦م.

- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي تـ(١٣٩٩هـ)، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول ١٩٥١، أعادت طبعه: دار إحياء التراث العربي بيروت ، لبنان، (د ط)، (د ت).
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي تـ(٦٨١هـ)، المحقق: إحسان عباس، دار صادر ، بيروت، ط١، ١٩٧٢م.

الرسائل والأطاريح والبحوث

- أثر الاعتزال في توجيهات الزمخشري اللغوية والنحوية في الكشاف: مهند حسن الجبالي(ماجستير)، جامعة اليرموك، كلية الآداب، ٢٠٠١م.
- أثر معاني القرآن للأخفش الأوسط في الكشاف للزمخشري دراسة نحوية: كواكب محمود حسين(ماجستير)، جامعة بغداد، كلية ابن رشد، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م.
- أثر معاني القرآن للفراء ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج في الكشاف للزمخشري دراسة نحوية: سعدون أحمد علي(دكتوراه)، جامعة بغداد، كلية ابن رشد، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.
- موازنة بين تفسير الكشاف للزمخشري والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي(دكتوراه) : رمضان يخلف، كلية أصول الدين، جامعة الأمير عبدالقادر الإسلامية، الجزائر، ٢٠٠٧م.
- تفسير الكشاف بين التحليل والتأويل: الدكتور عبدالمحسن بن عبدالعزيز العسكر، مجلة العلوم العربية، العدد الثالث والثلاثون ١٤٣٥هـ.